ABES13

**(18) شرح حديث «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ...»**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى الترمذي والحاكم واللفظ له عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: « **كَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ ، وَالأَهْوَاءِ ، وَالأَعْمَالِ ، وَالأَدْوَاءِ».**

اشتمل هذا الحديث على الاستعاذة من أربعة منكرات:

أحدها: (**منكرات الأخلاق**)؛ وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الأخلاق المنكرة، واستعاذ منها لأن الأخلاق المنكرة تكون سبباً لجلب كلّ شر ودفع كل خير، وقد جاء في الدعاء ((اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنّيى سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ)).

والثاني: (**منكرات الأهواء**) وهوجمع هوى، واستعاذ من الأهواء لأنها هي التي توقع في الشر، وتنشأ عنها أنواع المخالفات والانحرافات.

والثالث: (**منكرات الأعمال**) أي: الأعمال المنكرة، وهي الذنوب والمعاصي.

قال بعض أهل العلم: المراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والمراد بالأعمال: الأفعال الظاهرة؛ فيكون قوله: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال» جُمع فيه استعاذة من الذنوب ظاهرها وباطنها.

والرابع: (**منكرات الأدواء**) أي: أدواء القلوب وأسقامها، ومن أعظم أدوائه الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحاب الله ومراضيه، وترك التفويض إليه وقلة الاعتماد عليه والركون إلى ما سواه والسخط بمقدوره والشك في وعده ووعيده.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فعطَف الأدواء على الأخلاق والأهواء، فإن "الخُلق" ما صار عادةً للنفس وسجية، قال الله تعالى : {وإنك لعلى خلق عظيم }، قال ابن عباس وابن عيينة وأحمد بن حنبل : على دين عظيم، وفي لفظ عن ابن عباس: على دين الإسلام . وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن. وكذلك قال الحسن البصري : أدب القرآن هو الخلق العظيم . وأما "الهوى" فقد يكون عارضا والداء هو المرض وهو تألم القلب والفساد فيه».

وقال الشوكاني رحمه الله: «استعاذ من مُنكرَات الْأَخْلَاق لِأَن الْأَخلَاق الْمُنكرَة تكون سَببا لجلب كل شَرّ وَدفع كل خير، واستعاذ من مُنكرَات الْأَعْمَال لِأَنَّهَا إِذا كَانَت مُنكرَة فَهِيَ ذنُوب، واستعاذ من الْأَهْوَاء لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي توقع فِي الشَّرّ ويتأثر عَنْهَا من معاصي الله سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ {أَفَرَأَيْت من اتخذ إلهه هَوَاهُ}[الجاثية:23] ، وَإِذا كَانَ الْهوى يصيِّر صَاحبه باتباعه كالعابد لَهُ فَكَأَنَّهُ إلهه، فَلَا شَيْء فِي الشَّرّ أَزِيد من ذَلِك وَلَا أَكثر مِنْهُ، واستعاذ من الأدواء وَهِي جمع دَاء وَهُوَ السقم الَّذِي عرض لَهُ الْإِنْسَان، وَقد يُرَاد بذلك أدواء الدّين وَالدُّنْيَا من جَمِيع مَا يضر بِالْبدنِ وَالدّين» اهـ رحمه الله.

وقد كان رسول الله كثير الدعاء والسؤال من الله تعالى أن يزينه بمكارم الأخلاق وجميل الآداب وأن يعيذه من منكرات الأخلاق، وكان يقول في دعائه: (اللهم أحسنت خلْقي فأحسن خُلقي) ويقول في دعائه: (اهدني لأحسن الأخلاق ؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها ؛ لا يصرف عني سيئها إلا أنت)، فاستجاب الله تعالى دعاءه ووهبه أعلى الأخلاق وأرفعها، والأخلاق هباتٌ من الله وتفضُّلٌ منه يهدي لأحسنها من شاء من عباده.

قال طَاوُسٍ بن كيسان رحمه الله: «إِنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ مَنَائِحُ يَمْنَحُهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا مَنَحَهُ مِنْهَا خُلُقًا صَالِحًا» رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق.

وعن عبدالله ابن مسعود قال : «إنَّ الله تعالى قَسَمَ بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم» رواه البخاري في الأدب المفرد. فالذي يُعطي الأرزاق هو الذي يُعطي الأخلاق ، قال ابن القيم رحمه الله: «فإنَّ الأخلاق مواهب يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء».

وقد وهب الله خليله ومجتباه ورسوله ومصطفاه محمدًا أكمل الأخلاق وأعلاها وأطيبها، فكان صلوات الله وسلامه عليه قدوة للعالمين بما وهبه الله من الخُلق الكامل والأدب الرفيع، فكان خلقه القران، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ، قَالَتْ : «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ! قَوْلَ اللهِ : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}» رواه أحمد.

قال ابن كثير رحمه الله : «ومعنى هذا: أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا سجية له، وخلقًا تَطَبَّعَه، وترَك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمتُ رسولَ اللهِ عشر سنين فما قال لي "أف" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان أحسن الناس خُلقًا، ولا مَسسْتُ خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ، ولا شَمَمْتُ مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول الله . وروى البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: ((كان رسول الله أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير)). وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله بيده خادمًا له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تُنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله .

وقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[القلم:4] قال العوفي عن ابن عباس: أي وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد».

قال ابن القيم رحمه الله : «وسمى الدين خُلقا: لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوالٍ مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها ، فهذه كانت أخلاق رسول الله المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقًا للقرآن تفصيلا له وتبيينا، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغَّب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في إقامته، فترجمت أم المؤمنين رضي الله عنها لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن».

وقد بعثه الله ليدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينذرهم سيئ الأخلاق وسيئ الأعمال، وقد دعاهم إليه فعلًا وقولا؛ أما فعلا فقد كان قدوة للعالمين بما وهبه الله من الخُلق الكامل والأدب الرفيع، وأما قولًا فقد تكاثرت عنه الأحاديث في الحث على الأخلاق الكاملة والآداب والرفيعة والترغيب فيها وبيان ما أعدّ الله لأهلها من الثواب العظيم والأجر الجزيل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ : ((تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ)) رواه الترمذي. فجعله النبي من أسباب دخول الجنة وقرنه بالتقوى التي هي أعظم وصية.

قال ابن القيم رحمه الله : «جمع النبي بين تقوى الله وحسن الخلق لأن تقوى الله يُصلِح ما بين العبد وبين ربه، وحُسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة ال،له وحسن الخلق يدعو إلى محبته».

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ : ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا)) رواه الترمذي. فكلما كان المرء أحسن خلقا كان أقرب إلى رسول الله مجلسا يوم القيامة من غيره، وكلما كان أسوأَ خلقا كان أبعد.

وعن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ قال: ((إنكم لن تسَعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)) رواه البزار. أي: لا يمكنكم أن تسَعوا الناس بأموالكم عطاءً وبذلا مهما كثرت أموالكم وعظم سخاؤكم، لأن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن، فسعوهم بأخلاقكم الكريمة وآدابكم الجميل بسطِ الوجه وحسن الخلق، وهذا أمرٌ سهل متيسر لمن وفقه الله ووهبه الخلق الحسن .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ : ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ)) رواه أحمد ، ورواه البزار بلفظ : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ في أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)) رواه أبو داود. ففيه بيان فضيلة حسن الخلق، وأنه يوصل صاحبه إلى الدرجات العالية في الجنة، فإن النبي ذكر ثلاثة أصناف من الناس: فمنهم من يكون في ربض في الجنة وفي أدناها، ومنهم من يكون في وسطها، ومنهم من يكون في أعلاها، فالجنة درجات {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا}[الأحقاف:19]، وقد بيَّن النبي في هذا الحديث أن من يحسن خلقه يكون له بيت في أعلى ، وقوله: (أنا زعيم) أي: ضامن وكفيل .

قال ابن القيم رحمه الله : «فجعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة وهي حسن الخلق ، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله».

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.